التَّشكيل الايقاعي عند أبي القاسم سعد الله بين التَّقليد والتَّجديد
-الزَّمن الأخضر أنموذجًا-

Rhythmic formation according to Abu Al-Qasim Saad Allah between tradition and renewal- Azzaman El-Akhdar as a model-

د.فتيحة بلحاجي [1]
المركز الجامعي بمغنية- تلمسان
fatihabelhadji13@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/01/03 القبول 2021/04/05 النشر على الخط 2021/12/15
Received 03/01/2020 Accepted 05/04/2021 Published online 15/12/2021

ملخص:

رسم شاعرنا أبو القاسم سعد الله معالم تجربة شعرية رائدة في ساحة الشعر الجزائري، أضفت لمسة فنية إلى صرحه الشعري الفذ، اكتسبت زادها من عبق الوطنية ونسائم الحرية وانتشاء الرومانسية، وعليه نروم من خلال هذا المقال تتبع مسار الحركة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، بدءًا بالشعر التقليدي المحافظ وصولا إلى مرتبة الشعر الحر والتجديد على مستوى التشكيل الايقاعي من وزن وقافية.

الكلمات المفتاحية: أبو القاسم سعد الله- الزَّمن الأخضر- التَّشكيل الايقاعي- التَّقليد- التَّجديد.

Abstract:

Our poet Abu al-Qasim Saadallah drew the features of a pioneering poetic experience in the field of Algerian poetry. I added an artistic touch to his poetic edifice. I gained more from the patience of patriotism, the breezes of freedom, and the rise of romance. Therefore, through this article we follow the path of the poetic movement of Abu al-Qasim Saadallah, he started with traditional conservative poetry to the level of free poetry and renewal at the level of rhythmic formation of weight and rhyme.
Keywords: Abu al-Qasim Saadallah- Azzaman Al'akhdare- rhythmic formation- imitation- innovation.

[1] المؤلّف المراسل: فتيحة بلحاجي البريد الإلكتروني: fatihabelhadji13@gmail.com

1. مقدمة:

شهد الشعر الجزائري الحديث تطورات كبرى في جميع بنياته ومستوياته حيث استطاع مجموعة من الشعراء الأكفاء تشكيل الخطاب الشعري وتمثيل رغباتهم في التجديد وفق متطلبات الرؤيا الشعرية والابداعية المعاصرة من جهة ووفق الرغبة الذاتية في التخطي والتمرد والثورة على الطقوس الشعرية والأساليب المتوارثة منذ القديم، فالمتتبع للتجربة الشعرية المعاصرة في الجزائر يلحظ ذلك التطور الفني الكبير الذي بلغه المتن الشعري في هذه الفترة، وقد بدأت هذه التجربة تخطو خطواتها الأولى التي كانت مترددة ومحتشمة، ثم أخذت في التبلور لتشهد مرحلة التطور المبهر على يد عديد الشعراء الأفذاذ، وعلى رأسهم شاعرنا المقتدر أبي القاسم سعد الله.

كان لأبي القاسم سعد الله حضورا قويا في الساحة الشعرية الجزائرية، حيث فرض نفسه برقي شعره وبطرقه لقضايا الوطن ومنعطفات خصوصيات الشعب الجزائري، خط منحاه الشعري بديوانيه: " النصر للجزائر" و"الزمن الأخضر"، حيث نظم بطريقة تقليدية، لكنه كان شغوفا بالتغيير والتجديد، ففي منتصف الخمسينيات سطع نجم ظاهرة شعرية جديدة، ونقصد بذلك "الشعر الحر"، حيث تؤكد معظم المنافذ البحثية والنقدية في الساحة الأدبية أن "البداية الحقيقية الجادة لظهور هذا الاتجاه، إنما بدأ مع ظهور أول نص من الشعر الحر في الصحافة الوطنية، وهو قصيدة طريقي لأبي القاسم سعد الله المنشورة في جريدة البصائر بتاريخ 23 مارس 1955.[1]

ويؤكد الصالح خرفي "أسبقية" أبا القاسم سعد الله على تجربة الشعر الحر في الجزائر وأن من كتب هذا اللون زمن الثورة إنما جاء بعده "وسعد الله أول المقدمين على تجربة الشعر الحر، والثاني باوية الذي استطاع أن يغذي هذه التجربة بروح جديدة في الشكل والمضمون... وخمار ثالث ثلاثة في تجربة الشعر الحرفي الخمسينيات" [2]. إن تجربة "سعد الله" فتحت الطريق أمام شعراء آخرين لاقتحام هذه المغامرة "لقد توالت الكتابة الشعرية على منوال غير تقليدي، وتفاوتت التجارب الفنية بين شاعر وآخر، ونذكر من هؤلاء الشعراء أحمد الغوالمي، عبد الرحمان زناقي، وعبد السلام حبيب، ومحمد الأخضر السائحي..."[3]

رسم أبو القاسم سعد الله معالم تجربة شعرية رائدة في ساحة الشعر الجزائري، هذا ما جعلنا نختار هذا الصرح الشعري الفذ، وعليه نروم من خلاله تتبع مسار الحركة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، بدأ بالشعر التقليدي المحافظ وصولا إلى مرتبة الشعر الحر والتجديد على مستوى التشكيل الايقاعي من وزن وقافية.

2. في ثنايا الزمن الأخضر:

الزمن الأخضر نتاج فيض شعري ألفه سعد الله سنة 1984م، جمع فيه زبدة تجاربه الشعرية التي مجدت حياته الأدبية بكل جزئياتها، انطلاقا من تلك القصائد التي نظمت بالجزائر وتونس فالقاهرة وصولا إلى أمريكا، يحوى في ثناياه حوالي 120 قصيدة، نصفها رومانسي وجداني تغزوه العواطف الحزينة والأحاسيس المتألمة، تتعالى الآهات والمآسي من خلال نبراته الشعرية، أما النصف

[1]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان ،1985، ص149.

[2]- الصالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، م و ك، (د ط) الجزائر ،1984، ص354/ 355 .

[3]- أحمد يوسف: يتم النص والجينيالوجيا الضائعة، منشورات الإختلاف، ط1 الجزائر، 2002، ص64.

الآخر فينطوي تحت عاطفة نوفمبرية قوية، تتقد بروح البطولة وعنفوان الثورة مخلدا مآثر الشعب الجزائري وثورته الأبية، أما الموضوعات التي نظم فيها سعد الله فجاءت متنوعة نجملها فيم يلي:

– قصائد ذاتية رومانسية: "نشوة الروح"، "الجمال الحالم"، "أغاريد الجمال"، "نجمة الغروب"، "سنلتقي، لا تغربي."

– قصائد تصف الثورة وتجسد نضال الشعب في حب وطنه: "ليلة الرصاص"، "الثائر الأسير"، "شاعر حر"، "ثائر وحب"، "بربروس"، صرخة الجلاء"، أوراس"، كفاح إلى النهاية"، شعب الله".

– قصائد تتميز بالغربة والحنين إلى الوطن: " وطني"، "في غابة البشر"، ليل وشوق"، "بحيرة الأحزان"، " شك "، "ورق."

– قصائد تمثل تجارب الحب: " إنسانية"، " الشفة الولهى"، " الخطاطيف"، "صورة"،" الحزن"، "القلب الصوفي"، الليل والجرح".

– قصائد تناولت موضوعات متنوعة: " لغتي" نشيد مدرسي للأطفال، "نجوى العبقرية" ذكرى ابن باديس، "قدوة الأحرار"، تاج العرب" رسالة للابراهيمي، هزار الشعر "رسالة لمحمد العيد آل خليفة،" الخائن ."

– كما تضمن الديوان قصيدتين من الشعر المنثور بعنوان: " إلى أين، أيها الشعب"[1]

3. بوادر الشعر عند سعد الله:

برزت معالم الرومانسية في أولى محاولات سعد الله الشعرية من خلال مقاطع شعرية وسمت بعنوان "تحت ظل النخيل" ، والتي نسج نظمها بمسقط رأسه –البدوع– في الصيف الأول من عودته من تونس أثناء العطلة من سنة 1948م، حيث تحدث عن تلك المنافسة الشرسة التي دارت بينه وبين زميله التونسي – ابن حميدة–، وعن شيخهما "علي الأصرم" الذي كان دائما يقدمه عليه خاصة اثناء تسليم موضوع الانشاء الأدبي، وكذلك كان يفعل شيخه" مصطفى المؤدب" الذي كان يلقى منه كل التقدير والتشجيع[2]، وعليه فقد تجلت لبنات الشعر الأولى عند سعد الله مع بروز المنافسات والسجالات التي كانت محتدمة بينه وبين ابن حميدة، وطبعه الميال إلى الخلوة والانزواء والارتماء في أحضان الطبيعة في تونس، إذ يقول: " وأجلس هناك الساعات الطوال، أطالع وأنظم وأفكر دون أن أحس بالجوع أو العطش، ودون أن أحمل معي اي زاد غذائي من الصباح إلى المساء "[3].

كما تأثر أبو القاسم بالطابع الفلسفي في شعر ايليا أبي ماضي خاصة في قصيدته الطلاسم وبكتابات جبران خليل جبران، وبالشعر المهجري ومدرسة أبولو، ومطالعة كتب مصطفى صادق الرافعي، أما من القدامى فقد ملك شعر المتنبي زمام نفسيته الشاعرة [4].

سخر أبو القاسم الشعر لأغراض شتى منها الوطنية والعلمية والاجتماعية...وغيرها، فوظف النظم في الترجمة لحياة العظماء والتعريف بهم، نذكر على سبيل المثال قصيدة نظمها في الشعر العمودي بعنوان " قيثارة الأنغام"، تحوي حوالي واحد وثلاثين بيتا،

---

[1]– عبد الكريم شبرو: التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، مذكرة ماجستير في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر – باتنة، الجزائر،2006 /2007، ص56/55.

[2]– أبو القاسم سعد الله: منطلقات فكرية، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2011، ص183

[3]– م ن، ص ن.

[4]– م ن، ص 184

نظمها في حق الأديب الحفناوي هالي، معترفا بفضل معلمه عليه، مجسدا صورة الأستاذ الفنان في الأدب والبلاغة، مسترسلا في تبيان خصاله الرصينة وباعه في الانتاج الفكري من خلال المقطع الآتي:

من ذا الذي أنجبت هذا كوكب والخلق قد سجدوا إلى الاجرام
أنجبت أضوأ كوكب في أفقه نورا وأسمى في سماء كرام
وسموت لله العظيم كأنما جزت الفضاء على براقك سامي
أجمل به قمرا كأن بزوغه والأفق مجل وشروق سلام[1]

نظم أيضا قصيدة بعنوان " هزار الشعر" خص بها أحد أعمدة الأدب الجزائري وأمير شعرائه؛ محمد العيد آل خليفة مبرزا قيمته العلمية في الجزائر، ويوجه له دعوة من خلالها يطلب منه العودة إلى الساحة الشعرية خاصة، بمناسبة سكوته عن قرض الشعر، فهو الشيخ الحكيم الوقور الذي ينهل من شعره وحكمه الشباب ما يضيء مساره، وهو اللحن الشجي الذي يزين الشعر بنظمه ونسجه وحضوره وحسن سبكه، ينشد أبو القاسم قائلا:

يا حالما بأماني الخلد يسترها وفي الوجود أمان هو باكيها
مجللا بوقار الشيب تدفعه "روح التصوف" رفافا بواديها
إن الشيوخ إذا لم ترو حكمتها صدى الشباب فلا جدوى له فيها
كم من شعوب أضاء الشعر منهجها إلى الحقيقة فانجابت دياجيها
عد للطبيعة وابعث حسنها نغما فإنما الشعر ألحان نغنيها[2]

كما نسج في مجد وعطاء العلماء الأجلاء أمثال عبد الحميد بن باديس، إذ نظم في شخصه قصيدة وسمها "نجوى العبقرية"؛ تتكون من أربعة وعشرين بيتا مبينا دوره في إحياء أمة الجزائر ومجدها العظيم[3]، خلد أبو القاسم سعد الله نهج وأثر رائد النهضة والاصلاح والتجديد من خلالها، وهذا مقطع منها:

أين ضوء الفجر في تلك الربا سترت أنواره كف الزمان
ليتها تعلم لما فعلت إن نبع النور طامي الفيضان
ناج روح الفيلسوف قد ثوى عبقري الرأي جياش الجنان
أذهل التاريخ ما أحكمه في الوجود من فنون ومبان
وعقول تائهات أصبحت تنهل العرفان من كل مكان
أنت للجيل الجديد مرشد أحسن التوجيه بالشرع القرآني

[1]- محمد سريج: أبو القاسم سعد الله... الأديب الشاعر، 2013/12/29، https://www.echoroukonline.com ، تاريخ الاطلاع: 2020/03/22.

[2]- أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص69

[3]- محمد سريج: أبو القاسم سعد الله الأديب الشاعر، منشور في كتابات أبو القاسم بعيون مختلفة، ص 324

كنت خصبا ورواء وندى وسموا وهدى في المهرجان
أورقت منك عقول ذبلت وانتشت منك قلوب ومغان
يا ابن باديس هناء ضافيا بالنعيم في الخلود والتهاني[1]

أما عن تأثره برواد الشعر الحر فيقول: " ومادام الحديث عن الشعر فأذكر أن مدرسة الآداب هي التي تابعتها، ولكني لا أستطيع أن أحدد هنا شاعرا بعينه من هذه المدرسة، ولعل شعر نزار قباني قد وجد لدي هوى خاصا في تلك المرحلة"[2].

ترك أبو القاسم سعد الله بصمة عميقة الأثر في نظم الشعر الحر منه والعمودي، ولعل ما طبع ونشر أقل مما ضاع، يمثله " النصر للجزائر" سنة 1986، و"أنشودة المزارع الحقول " في مارس سنة 1955م، وطريقي في السنة نفسها، كما جمعت جل أشعاره في ديوان وسِم"الزمن الأخضر " سنة 1985، ويذكر أن له ديوانا لم يطبع بعنوان " أغاني الجزائر"، حوى في ثناياه مقاطع شعرية بحلة قصصية ام ما يسمى بالشعر القصصي المفعم بالحوار وجاء ذلك بينا في قصيدته "إلى أين" و"برقية من الجبل" وقصيدة " الطين".[3]

4. التشكيل الايقاعي عند سعد الله:

أ- القافية:

عندما نطرق باب الايقاع يسوقنا حتما نحو مقام الوزن، لأننا نلامس ذلك التدفق الموسيقي والمسافة الجمالية بين الحروف والتواتر المتتابع بين الحركة و السكون، والشدة والرخاوة ،بين الهمس والجهر...وغيرها من السمات المميزة للايقاع والوزن في القصيدة الشعرية، وما يجعل الشعر الحر متفردا عن الشعر العمودي، هو كسر عمود الشعر وعدم التقيد بنظام الوزن والقافية المعهودتين، الأمر الذي تبناه أبو القاسم سعد وفق ثلة من أقرانه الشعراء، حيث "حاول كل واحد منهم أن يقيم تشكيلا إيقاعيا جديدا يخرج به عن إطار موسيقى الشعر العمودي وزنا وقافية، فقد أقاموه على نظام التفعيلة لا على أساس البيت"[4] ، وعن السبب الذي أدى بسعد الله إلى رسم معالم تجربة شعرية جديدة وضرورة كسر قيود التقليد يقول : " كثير من الناس، طرحوا عليّ السؤال التالي: لماذا توقّفْتَ عن قرض الشعر؟ وأعتقد في البداية؛ أنّ هناك أشياء ليس من السهل؛ الإجابة عليها... فالإنسانُ مثلاً؛ لا يستطيع الإجابة على السؤال: لماذا وُلِد؟ لماذا يموت؟ (....) هلْ سفري إلى أمريكا غيّرَ مجْرَى حياتي؟ هلْ تخصّصي في التّاريخ كان السبب؟ (...) كنتُ أتابع الشعر الجزائري منذ 1947 باحثاً فيه عن نفحات جديدة، وتشكيلات تُواكبُ الذوق الحديث، ولكنّي لم أجدْ سوى صنمٍ يركعُ أمامه كل الشعراء، بِنغمٍ واحد وصلاةٍ واحدة... ومع ذلك؛ فقد بدأتُ أوّل مرّة أنظم الشعر بالطريقة التقليدية، أيْ كنتُ أعبُدُ ذات الصنم، وأُصلّي في نفس المحراب، ولكنّي كنتُ شغوفاً بالموسيقى الداخلية في القصيدة، واستخدام الصورة في البناء... غير أنّ اتّصالي بالإنتاج العربي القادم من المشرق، - ولا سيما لبنان – واطّلاعي على المذاهب الأدبية والمدارس الفكرية، والنظريات

[1]- سعد الله: الزمن الأخضر، ص 75

[2]- سعد الله: منطلقات فكرية، ص185

[3]- بتصرف: سفيان لوصيف: المؤرخ أبو القاسم سعد الله وكتابة تاريخ الجزائر، مجلة دراسات وأبحاث، سبتمبر 2017، ع 28، ص6.

[4]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص218.

النقدية، حملني على تغيير اتّجاهي ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر" [1]، ففي البداية أخفق سعد الله في تحقيق المرام بالرغم من توقه إلى التجديد وخرق النظام التقليدي، لأن قصائده ظلت مقيدة ومكبلة بطوق القافية المتتالية ولم تتحرر من قيود الوزن، فتراوحت القافية عنده بين العمودية المتكررة التي تحيلنا على التقليد التام كما جاء في عديد قصائده نذكر منها : "شعاع الماضي" و"كاس الحياة" و"أغاني الربيع" ..و غيرها، أما القافية العمودية المتعددة التي كانت عبارة عن ميلاد لقالب شعري جديد يتراوح بين الالتزام بالقافية وبداية التحرر من نمطيتها، فنجدها مثلا في قصيدة "نشوة الروح"، يقول سعد الله:

أنت يا روعة الخلود شعاعي ووجودي ومعبدي ويراعي
نشوة أنت في الطباع ولكن لم لم تنعشي الهوى بطباعي
دائما ألمح الوجود بـــــاكيا حالما بالجمال عذبا نـــــديا
فلسفي الرؤى يطير خيالا ونبيا بفـــــنه عبـــــــقريا[2]

فالملاحظ أن أبا القاسم مازال مقلدا ومتمسكا بعمودية الشعر وفي الوقت نفسه بدأ يتخلى شيئا فشيئا عن نظام القافية المتتالية، فاختار تخصيص القافية نفسها لكل بيتين ليغيرها في البيتين المواليين؛ (يراعي– طباعي)، (نديا– عبقريا) .

يتجدد الشعر ونظامه بانتقال سعد الله نحو القافية الحرة التي نحت بدورها منحيين، المنحى الأول تجسد في القافية الحرة المقطعية المتجلية في عديد القصائد، نذكر على سبيل المثال لا الحصر في قصيدة أوراس، يقول في مقاطع مختارة:

من حولك الصراع والدمار
والنار تأكل الأحياء في الدوار
من حولك كالأزهار
.....
عشناك في الحياة والمنا
نفاخر العصور والدنا
بمجدك التليد عندنا
.....
فأين أنت يا شعارنا السحيق
لقد ظمئنا– يا مهيب– للشروق
فهاب الرعب، شبه الحريق[3]

[1]– مقدمة ديوان، الزمن الأخضر: أبو القاسم سعد الله، ص 14/12.
[2]– سعد الله: الزمن الأخضر، ص59
[3]– سعد الله: الزمن الأخضر، ص249

نوع سعد الله في قافيته، إذ خص كل مقطع بقافية مستقلة عن المقطع الآخر، جاءت كالتالي: حرف الراء، ثم النون المشبعة بألف المد، وصولا إلى حرف القاف" وهذا التنوع في القافية ينم عن مهارة الشاعر في توظيفها والتي أضفت جوا على القصيدة أبعدت الملل عن أسماعنا" [1]

أما المنحى الثاني فتبلور في القافية الحرة المتغيرة، خير دليل على ذلك قصيدة "طريقي" التي رام من خلالها "التحرر من الشكل الموسيقي القديم كما تحرر من أفكار سابقة، فاعتمدت القصيدة على الارتباط النغمي بين الأبيات المتتالية وارتكزت على نقطة نغمية توجه حركة النفس مع الموسيقى وهي كلمة "طريقي" لكنها ما زالت حبيسة في قيود القافية المتتالية،)...(ومازالت تخضع لقيود الوزن، حيث يوازي فيها بين الأبيات الشعرية» [2]، ولتتضح صورة التشكيل الايقاعي أكثر نضرب أمثلة أخرى من القصيدة نفسها، يواصل قائلا:

ألمح الأطياف من حولي شوادي
للرؤى السكري، لآلاف العباد
للربيع الحلو شوقا للزهور
للهوى الزخار بالذكرى وأنسام العطور
يا رفيقي!
إلى أن يقول:
لست أنسى حين ضوأت المشاعل
واحتضنت النور غصبا في المجاهل....
يا رفيقي!
وقوله أيضا:
يا رفيقي
لا تلمني عن مروقي
إذ أنا اخترت طريقي
فطريقي كالحياة
شائك الأهداف، مجهول السمات
عاصف الأرياح، وحشي النضال
صاخب الشكوى، وعربيد الخيال[3]

[1]- عبد الكريم شبرو: التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، ص127.
[2]- عمر بوقرودة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945-1962)، منشورات جامعة باتنة، (د ط) الجزائر ،1997، ص295.
[3]- سعد الله: الزمن الأخضر، ص141.

يتضح جليا حضور القافية المتتالية في كل من : (شوادي – العباد)،(الزهور– العطور)، (المشاعل – المجاهل)،(الحياة– السمات)، (النضال –الخيال)، (رفيقي– مروقي– طريقي)، فسعد الله سار على نهج التجديد فنظم شعرا بقالب مغاير يختلف قليلا عن القالب التقليدي إذ نسج قافيته على أساس التشبيه في كل سطرين أو ثلاثة ثم يختمها بلازمة" طريقي" أو "يا رفيقي"، فبالرغم من أنه تخلص من نظام البيت لكنه بقي حبيس الشكل العمودي من خلال المقطوعات الشعرية وقافيتها المتتالية "التي جعلت قصيدته هذه أشبه بقصائد المهجرين المتراوحة القوافي، مما يدل على أن سعد الله –وهو في درو التجريب– لم يزل يعتبر القافية عنصرا مهما في العمل الشعري، يوليه اعتبارا واضحا على حساب العناصر الفنية الأخرى " [1]، وعليه فسعد الله حاول امتطاء جواد التجديد وفي الوقت نفسه ظل متمسكا بنمط التقليد ، فتشابك القوافي و تداخلها وتنوعها دليل على اضطراب حالته النفسية، لكنه في قادم الأعمال "حاول التخلص من هذا النظام وذلك حين أصبح التشكيل الموسيقي عنده، خاضعا خضوعا مباشرا للحالة النفسية أو الشعورية التي يصدر عنها، كما نلاحظ ذلك في قصيدته " شيء لا يباح" [2]:

هناك شيء لا يباح
يعذب القلوب ... ينكأ الجراح
أو غاب من عيوننا ثوان
نحسه مرارة ... أحزان.....
لو أنه يباح[3]

ونجد الأمر مستفيضا في قصيدة "صورة" إذا يقول:

وحدي هنا
في صورة قلبي لها صندوق سر
مغلقا، محجبا إلا لها
في صورة كلوح عبقري
كطلعة النبي
مرسومة دوما تجاه ناظري
أعماقها رحابة الوجود
ألوانها منى مزخرفة
لها عينان ...منبعا غرام
أغوص فيهما إلى الأعماق

[1]– محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 219
[2]– م ن، ص221.
[3]– م ن، ص351.

لكنني ضمآن دائما!
يا صورتي[1]

نلحظ أن "هذا المد والاستطالة والامتداد الملائمين للمناجاة فضلا عما يحدثه الاشباع في (عبقري، ناظري، خلوتي)، والتسكين في (سرْ، الوجودْ، مزخرفهْ، غرامْ، أعماقْ) في آخر الأسطر الشعرية من ايقاع صوتي، حيث يتوحد النغم مع لحظات التوحد الوجداني" [2]، "فالايقاع الداخلي يؤدي دورا هاما في تعميق الايقاع النفسي، وفي خلق نغمات وايقاعات أخرى تتوازى مع الايقاع الخارجي للقصيدة" [3]، وعليه فقد عكس التشكيل الايقاعي الحالة الشعورية التي صاحبت تجربة سعد الله الشعرية.

ب- البحور والأوزان:

اعتمد سعد الله نظام القصيدة العمودية بنسبة تكاد تقارب نصف الديوان، فجاءت الأوزان مكيفة حسب مواضيع القصائد، حيث ركز كغيره من شعراء هذه الفترة الزمنية على« مجزوء الرجز والرمل والمتقارب ثم نجد بعضهم يضيف إليها مجزوء الكامل والهزج والمتدارك » [4]،كما استخدم البحور التالية كاملة : الخفيف، الطويل، الرمل، البسيط، المجتث، الوافر، المتقارب، في حين كان استعماله لبحر الكامل "راجع لما يمتاز به من إيقاع موسيقى هادئ رصين، وما تعرف به تفعيلاته من جزالة وحسن اطراد... تجعله يتناسب مع الموضوعات الجادة التي تحتاج إلى نفس طويل"[5]، ومن أمثلة ذلك قصيدة "جلال الخلد" [6] التي اختار لها سعد الله بحر البسيط:

اِقطف جنى الخلد وامرح في خمائله	واصدح على الغصن مع أشجى بلابله
0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/	0/// 0//0/0/ 0///0/ 0//0/0/
مستفعلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن	مستفعلن / متفعلن / مستفعلن / فعلن
فمنتهى الشعر من قيثار هـادله	ومنتهى السحر من جفـني عائله
0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0//	0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0//
متفعلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن	متفعلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن
عرائس اللّهو قد ماست بساحـته	وزهرة الأفق قد شعـت لداخله
0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0//	0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0//
متفعلن / فاعلن / مستفعلن/ فعلن	متفعلن / فاعلن /مستفعلن / فعلن

[1]- سعد الله: الزمن الأخضر، ص333
[2]- عبد الكريم شبرو: التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، ص 113
[3]- عيسى فوزي: النص الشعري وآليات القراءة، منشأة المعارف، مصر، د ط، 1997، ص441.
[4]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية ص247.
[5]- م ن، ص249.
[6]- سعد الله: الزمن الأخضر، جلاد الخلد، ص 75

أما بالنسبة للقصائد الحرة فقد اختار سعد الله ثماني بحور شعرية بشكلها الكلي وهي: الرمل، الرجز، السريع، الكامل، المتقارب، المجتث، الوافر، المتدارك، متقيدا في ذلك بالأصول العروضية كالنقص والزيادة، والزحافات والعلل، أما عن اعتماده على بحر الرمل فكان سببه تلك" الانسيابية والاسترسال الذي يجعله للتعبير عن العواطف الحادة غضبا كانت أم فرحا" [1]

والمعروف عن شعراء فترة مابين 1954و 1692م أن جل قصائدهم دارت حول الثورة الجزائرية، فالتغني بها ووصفها كان يحتم عليهم النظم ببحور طويلة ذات مقاطع متناسبة، يقول سعد الله في قصيدته "ربيع الجزائر:"

من اللهب الأزرق //0/0/0/// فعول مفاعيلن
ومن خمرة الشفق //0//0/0/ فعولن مفاعلن
ولون الدم المهرق //0/0/0//0/0/ فعولن مفاعيلن
سيصحو الربيع //0/0//0/0/ فعولن مفاعل
إلى الشهداء .... [2] //0/0///0/ فعول مفاعل

نجح سعد الله في تطويع الشعر الحر وفق أوزان خليلية كانت تعتمد في القصائد العمودية، حيث زاوج بين الايقاع الهادئ وحرقته على وطنه، حيث كيَّف تفعيلات بحر الطويل وفق نبرته الشعرية، ملتزما بالزيادة والنقصان والزحافات والعلل الوزنية ك: (فعول= فعولن)، (مفاعلن= مفاعيلن)، (مفاعل= مفاعيلن)، فالضرورة الشعرية اقتضت ذلك.

5. خاتمة:

من خلال هذه الدراسة المحتشمة في حق شاعر فذ مثل أبي القاسم سعد الله نخلص إلى ما يلي:

- أماط الزمن الأخضر اللثام عن الذات المبدعة لسعد الله وشاعريته المتأججة العواطف، والتي جاءت مناصفة بين شغف الرومانسية والروح النوفمبرية القوية، وعنفوان الثورة والوطنية، إذ حوى بين دفتيه شعرا عموديا مقلدا وآخر حرا مجددا.
- سخر أبو القاسم الشعر لأغراض شتى منها الوطنية والعلمية والوجدانية والاجتماعية...وغيرها، فوظف النظم في الترجمة لحياة العظماء والشعراء والتعريف بهم، على غرار عبد الحميد بن باديس ومحمد العيد آل خليفة، الحفناوي هالي.
- تعود "الأسبقية" في تجربة الشعر الحر في الجزائر لأبي القاسم سعد الله و كل من كتب هذا اللون زمن الثورة إنما جاء بعده وسار على خطاه.
- حاول سعد الله التخلص من عباءة التقليد لكنه أخفق في بداية الأمر في تحقيق المرام بالرغم من توقه إلى التجديد وخرق النظام التقليدي، لأن قصائده ظلت مقيدة ومكبلة بطوق القافية المتتالية ولم تتحرر من قيود الوزن، فتراوحت القافية عنده بين العمودية المتكررة والعمودية المتعددة.

[1]- عياد شكري: موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1968، ص181.
[2]- المصدر السابق، ص279.

- تجدد الشعر ونظامه بانتقال سعد الله نحو القافية الحرة التي نحت بدورها منحيين، المنحى الأول تجسد في القافية الحرة المقطعية والمنحى الثاني مثلته القافية الحرة المتغيرة.
- تخلَّص سعد الله من التقليد عندما أمسى التشكيل الموسيقي عنده خاضعا خضوعا مباشرا للحالة النفسية التي يصدر عنها، وبالتالي عكس التشكيل الايقاعي الحالة الشعورية التي صاحبت تجربته الشعرية.
- أما الأوزان فقد اعتمد سعد الله على مجموعة من البحور التي تناسبت وحسه الموسيقي وحققت له الانسيابية والاسترسال؛ وبلغ من خلالها مقام الشعرية مراعيا الزحافات و العلل و الجوازات الممكنة.
- نجح سعد الله في الالتزام بالنظام العروضي للقصيدة العمودية، كما حقق قفزة نوعية في تطويع الشعر الحر وفق الأوزان الخليلية، حيث زاوج بين الايقاع الهادئ و البعد الحسي للشاعر.
- جسدت قصيدة "طريقي" انطلاقة التجديد المطلق عند سعد الله وتجلى التحرر من الشكل الموسيقي القديم كما تحرر من أفكار التقليد السابقة، حيث اعتمدت القصيدة على الارتباط النغمي بين الأبيات المتتالية وارتكزت على نقطة نغمية توجه حركة النفس مع الموسيقى وهي كلمة "طريقي".

6. قائمة المراجع:

- أحمد يوسف: يتم النص والجينيالوجيا الضائعة، منشورات الاختلاف، ط1 الجزائر، 2002.
- سفيان لوصيف: المؤرخ أبو القاسم سعد الله وكتابة تاريخ الجزائر، مجلة دراسات وأبحاث، سبتمبر2017، ع 28.
- الصالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، م وك، (د ط) الجزائر ،1984.
- عمر بوقرودة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945-1962)، منشورات جامعة باتنة، (د ط) الجزائر،1997 ص295.
- عياد شكري: موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1968.
- عيسى فوزي: النص الشعري وآليات القراءة، منشأة المعارف، مصر، د ط، 1997.
- أبو القاسم سعد الله: منطلقات فكرية، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2011.
- أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.
- عبد الكريم شبرو: التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، مذكرة ماجستير في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر – باتنة ، الجزائر ،2007/2006 .
- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان ،1985.
- محمد سريج: أبو القاسم سعد الله... الأديب الشاعر، منشور في كتابات أبو القاسم بعيون مختلفة، 2013/12/29، تاريخ الاطلاع: 2020/03/22، https://www.echoroukonline.com